

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية



اللقاء السنوي الخامس

التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس

في الفترة من ١٢ - ١٥/١١/١٤١٣ هـ



الرقم التسلسلي ٢٩

بحث بعنوان : نحو خطة منظمة ومتكاملة للتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية

اسم الباحث : الأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود السيد

الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية

اللقاء السنوي الخامس ،

حول :

التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس

(١٢-١٥ ذي القعدة، ١٤١٣ هـ)

نحو خطة منظمة ومتكاملة للتأصيل

الإسلامي للدراسات النفسية

أ.د. عبد الحلیم محمود السید

قسم علم النفس - كلية التربية

جامعة الملك سعود بالرياض

نحو خطة منظمة ومتكاملة للتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية

أ. د. عبد الحليم محمود السيد

قسم علم النفس - كلية التربية

جامعة الملك سعود بالرياض

مقدمة

يأتي هذا اللقاء السنوي الخامس، للجمعية السعودية للدراسات التربوية والنفسية، في بداية مرحلة من الوعي بأهداف التأصيل الإسلامي لعلم النفس* كعلم له ماضٍ

(*) وقد مهد لهذا المستوى من الوعي الذي يبدأ به هذا اللقاء، عدد متتابع من الجهود المخلصة، لإثارة الإهتمام، ومحاولة تقديم نماذج، ومناقشة الاعتراضات، واقتراح الحلول فيما يتصل بعملية التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية والتربوية، من أهمها جهود عدد من المؤسسات العلمية بالمملكة العربية السعودية، وعدد من البلاد العربية الأخرى ونخص بالذكر كلاً من :

١- ندوة « الإسلام وعلم النفس » التي نظمها قسم علم النفس بجامعة الملك سعود عام ١٤٠٠هـ/١٩٧٨م.

٢- ندوة « التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية »، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٣- اللقاء العالمي الرابع حول : « قضايا المنهجية في العلوم السلوكية » الذي نظمه كل من : المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، وقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الخرطوم، عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤- ندوة « علم النفس والإسلام »، التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة، عام ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٥- ندوات والمنظمة العالمية للطب الإسلامي، لدراسة أوجه الإعجاز الطبي في القرآن الكريم وعدد من قضايا الطب المستحدثة، والتوجهات الشرعية لها، بكل من القاهرة، والكويت.

وهنا ليس بمغزل عن جهود التأصيل الإسلامي لمعظم جوانب الحياة الشرعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتنامى على مستوى العالم العربي والإسلامي.

عريق في تاريخ الفكر الإنساني، إلا أن تاريخه كعلم قصير نسبياً، إذ لم يتعد نيف ومائة عام، منذ إنشاء أول معمل تجريبي لعلم النفس عام ١٨٧٩.

وقد كان للثقافة الإسلامية - التي تأسست على دعائم من علوم القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، واجتهاد الفقهاء، والعلماء، والمفكرين - في مختلف فروع المعرفة الانسانية التي ازدهرت وبلغت أوجها في عهود النهضة الإسلامية - كان لهذه الثقافة الإسلامية دوراً بارزاً في تحديد ملامح إطار نفسي وتربوي إسلامي، ظل موجهاً لبرامج التربية والتنشئة وتنمية سلوك الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامي، إلى أن تراكم عدد من الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية الوافدة، ساهم (في ظل ضعف المسلمين أمام المحتل عسكرياً وثقافياً) في عزل المتعلمين بالعالم الإسلامي عن ثقافتهم الإسلامية الأصيلة، وذلك عندما نقل - المستعمر إلى بلاد المسلمين - من خلال ابنائها الذين تشرّبوا ثقافته، نظام ثنائية التعليم أو تشعبه إلى شعبتين، إحداهما حديثه أو علمانية، والأخرى تقليديه أو دينية، في محاكاة الية للغرب المسيحي الذي ارتبطت فيه النهضة العلمية بالثورة على الدين؛ وعزله عن توجيه دفء الحياة، بل وانكار علماء الغرب أو معظمهم - للغيب - كرد فعل لطغيان الكنيسة في العصور الوسطى*.

(*) وهذا يختلف عن موقف علماء المسلمين الذين حشموه الإسلام على مزيد من المحاولة واكتشاف سنن الله في الكون، لهذا نجد الطبيب والفيلسوف المسلم ابن سينا، يقول لمن ينكر الغيب، وكل مالم تستبين بعد جليته:

« اياك ان يكون تكسبك وتبرؤك عن العامة هو ان تنبرى منكرأ لكل شئ، وذلك طيش وعجز، وليس الخرق في تكذيبك مالم يستبين لك بعد جليته، دون الخرق في تصديقك مالم تقم بين يديك بينة عليه، بل عليك الاعتصام بحبل التوقف (عن الحكم) مالم تبرهن استحالته لك» .
(ابن سينا، ج٤، ص ١٥٩-١٦٠).

أي أن رفض القضايا بلا دليل يمثل نوعاً من الحق، لا يقل في ضرورة، وإغلاقه لمنافذ المعرفة، عن قبول قضايا بدون دليل.

ويتفق هذا التصور، مع ما يسلم المختصين من العلماء، من أن الإطارات الفلسفية العامة والدينية والأخلاقية، لا تخضع لاساليب التحقق العلمي، وإنما هي التي توجه النشاط الإنساني في كل مجالات الحياة، بوجه عام، ونشاطات العلماء التي من شأنها أن تبرز سن الله وآياته في الكون والآنفسوكما أنها تتحكم موضوعات البحث وقواعد السلوك الأخلاقي للعلماء، والتوجه القيمي لتطبيقات العلم (السيد، عبد الخليم محمود، وآخرون، ١٩٩١م، ص ٢٣-٢٤).

وقد أدى هذا العزل بين الحداثة والأصالة في نظام التعليم بمعظم أنحاء العالم العربي والإسلامي، إلى أبعاد معظم الشباب المتعلم في البلاد العربية والإسلامية عن منابع الثقافة الإسلامية وجهلهم بلامحها الأساسية، هذا في نفس الوقت الذي تم فيه عزل قطاع كبير من طلاب العلم بالمعاهد الدينية والجامعات الإسلامية عن مصادر ومناهج العلوم الحديثة (نجاتي، ١٩٨٩م).

مع أن هذا الفصل بين العلوم الحديثة والعلوم الشرعية، غريب عن روح الثقافة الإسلامية حيث كانت برامج التعليم تبدأ وتستمر في تعليم علوم القرآن الكريم والسنة المطهرة، والعلوم الشرعية جنباً إلى جنب مع العلوم الكونية، وقد برع المسلمون في إعداد برامج تعليم النشئ المسلم (انظر الأهواني، أحمد فؤاد).

وقد ترتب على هذا العزل بين التعليم الحديث والتعليم الديني، وجود أجيال من الباحثين في مجال الدراسات النفسية والتربوية تحمل أعلى المؤهلات العلمية، تنقل ما تعلمته من الخارج - بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال اساتذة أو مراجع- دون تمييز بين ما ينتمي إلى دائرة العلم النافع، وبين ما يدخل في دائرة المسلمات الثقافية لعلم نشأ في مجتمع له ثقافته الغربية، وظروفه التاريخية التي تجدد عقائده وتوجهاته، وهم يعتقدون في أنفسهم أنهم ينقلون إلى بلادهم العلم الذي سينهض بهم.

ويقابل هؤلاء أجيال تحمل ثقافة إسلامية أو حماسة للدين*، لكنها لم تتمكن من مناهج البحث التي تساعد على عزل ما ينفع وما يضر من علوم الغرب، لهذا فقد وقع بعضهم في أخطاء تعيير الحكم من رفض نماذج محدوده من النظريات أو الأطر النظرية النفسية، إلى رفض علم النفس الحديث ككل، وقد تقدم بديلاً له، عبارة عن

(* يسجل للحق وللتاريخ، جهود الرعيل الأول من حملة الثقافة الإسلامية الذين سعوا إلى نشر كتب التراث، ذات المضمون النفسي، كما سعوا إلى قراءات نفسية في كتب التراث (انظر عبد الكريم العثمان، ١٩٦٣، ومحمد أحمد خلف الله، ١٩٦٥)، وأحمد فؤاد الأهواني، ومحمد عثمان نجاتي الذي أشرف على رسالته للماجستير « عن الإدراك الحسي عن ابن سينا، الشيخ مصطفى عبد الرازق... إلخ» .

ككل، وقد تقدم بديلاً له، عبارته عن نماذج من التراث الصوفي أو غيره من نماذج التناول التراثي لظواهر نفسيه لكنه، لا يغني وحده عن متابعة اكتشاف قوانين السلوك البشري التي أمرنا الله بها (انظر: الشرقاوي، حسن محمد، ١٩٧٦).

ووقفت بين الفريقين، فئة ثالثة ظلت حائرة، تريد العلم النافع، وتحاول أن تحصله لكنها تجد فيما تتعلمه بعضاً مما لا تقبله . وقد شارك هذه الفئة حيرتها من المثقفين المسلمين المخلصين الذين تعلموا بعضاً من يدرك في الجامعات من علم النفس، وادركوا عقمه، لكنهم لم يفقدوا الأمل في علم بسنن الله في أحوال النفس، تماماً كستن الله تعالى في الكون، وفي المجتمع، التي أمكن للإنسان اكتشاف عدد منها (سعيد، جودت، ١٩٧٥).

وسوف نعرض في هذه الدراسة لثلاثة جوانب، نعتقد أن إلقاء الضوء عليها يمكن أن يسهم في تاصيل اسلامي للدراسات النفسية من منظور متكامل . وهذه الجوانب الثلاثة هي:

- أولاً - أهم دوافع التاصيل الإسلامي لعلم النفس.
- ثانياً - أهم العقبات أمام التاصيل الإسلامي لعلم النفس.
- ثالثاً - أهم ملامح التاصيل الإسلامي المتكامل لعلم النفس.

أولاً - أهم دوافع التاصيل الإسلامي لعلم النفس:

(١) من أهم دوافع التاصيل الإسلامي ، أن الإسلام يحض على معرفة سنن الله في النفس والكون:

إذ يأمر الإسلام الناس بالتفكر في أنفسهم، وفيما خلق الله في السماوات والأرض: « أو لم يتفكروا في أنفسهم، ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق، [الروم، الآية ٨] .

لأن الله تعالى يقرر أن طبيعة تكوين الأنفس وطبيعة هذا الكون كله من السماوات والأرض وما بينهما، توحي بأن هذا الوجود قائم على الحق، ثابت على الناموس، لا يضطرب ولا تتفرق به السبل، ولا تختلف دورته، ولا يصطدم بعضه

ببعض، ولا يسير وفق المصادفة العمياء، ولا وفق الهوى المتقلب وإنما يمضى في نظامه المحكم المقدر تقديراً. [قطب، سيد، ١٩٦٧، ص ص ٢٧٥٩-٦٠].
ولهذا فإن أكثر الناس معرفة وعلماء، يكون أكثرهم خشية لله وتعظيماً.
« إنها يخشى الله من عباده العلماء » [فاطر، الآية، ٢٨].

وقد وعد الله تعالى عباده - بني الإنسان - أن يطلعهم على شئ من خفايا هذا الكون، ومن خفايا أنفسهم على السواء. قال تعالى: « سنويهم آياتنا في الآفاق* وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق » [فصلت الآية ٥٣].

ووعد الله ما زال قائماً (قطب، سيد، ج ٥، ص ص ٣١٣-٣١). وقد صدقهم الله وعده فكشف لهم عن آياته في الآفاق، خلال القرون الأربعة عشر التي تلت هذا الوعد.

فقد عرفوا منذ ذلك الحين :

أن أرضهم التي كانوا يظنونها مركز الكون، إن هي إلا ذرة صغيرة تابعة للمش.
وأن الشمس كرة صغيرة، منها في الكون مئات الملايين. وأن الكون كله من إشعاع في صور شتى هي التي تجعل منه هذه الأشكال والأحجام.
وعن كونهم الصغير عرفوا أنه كرة أو كالكرة وأنه يدور حول نفسه وحول الشمس. وعرفوا قاراته ومحيطاته وأنهاره، وكشفوا عن شئ من باطنه. وعن الكثير من الخبوء في جوفه من الأقوات.

وعرفوا وحدة النواميس التي تربط كوكبهم بالكون الكبير وتصرف هذا الكون، ومنهم من اهتدى فارتقى من معرفة النواميس إلى معرفة خالق النواميس، ومنهم من انحرف فوقف عن مظاهر العلم لا يتعداه.

(*) قال عطاء وابن زايد: « في الآفاق » أي في أقطار السماوات والأرض: من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح، والأمطار والرعد والبرق، والصواعق، والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها (القرطبي، طبعة دار الشعب، ص ٥٨١٨).

ولم تكن فتوح العلم والمعرفة في أغوار النفس بأقل منها في جسم الكون، فقد عرفوا عن الجسم البشري، وتركيبه وخصائصه وأسراره الشئ الكبير. عرفوا تكوينه وتركيبه ووظائفه، وأمراضه، وغذائه، ومثله، وعمله وحركته، مايكشف عن خوارق لايعرفها إلا الله.

وبعد أن اكتشف العلماء - عظمة التدبير والتقدير الالهي فيما يتصل بنمو وارتقاء الإنسان من النطفة إلى العلقة فالمضغة: « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين » (المؤمن، الآيات، ١٢-١٤).

واكتشاف ارتقاء قدرات الإنسان التي تميزه تماماً عن كل مخلوقات الل: لغته، وتفكيره، وتعلمه، وذكاؤه، وإبداعه، ومهاراته في التفاعل الاجتماعي، وسمات شخصيته وطاقاته التي تنفجر وتصل إلى حد الإعجاز سواء في طفولته وصباه أو أشده وكهولته وهرمه بل إن ما كشفت عنه الدراسات النفسية الحديثة للنمو والارتقاء الانساني عن إمكانات الوليد البشري ونمط إستجاباته - رغم شدة عجزه - منذ لحظة ولادته وخلال الساعات والأيام والشهور الأولى فضلاً عن سنواته الأولى، تعدت أي إمكانات لأي وليد حيواني آخر، مما يشير إلى العناية الآلية في كل لحظة. ومازال وعد الله قائماً إذ ينتظر أن تكتشف مزيداً من الأسرار عن الوظائف النفسية والعقلية، مما لم يتبين لأحد من قبل. ويدعم عقيدة التوحيد وقرار أن الله حق وأن هذا الدين وهذا القرا العظيم هو حق. . ومنزل من عند الله.

وترى من كل ما سبق أن الإسلام يوجب علينا إتقان هذا العلم، لأنه إذا كان الفزع العسكري يقتضي من الإمام السرعة والخروج والمبادرة - للاستبراء للناس- كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإن الغارة الثقافية والفزع الثقافي يستوجب على أهم العلم أن يكونوا أولى الناس بالخروج إليها مسرعين راكضين حتى يعودوا للناس بحقيقة الخبر وعلاء الفزع. خاصة وأن خسائر الفزع الثقافي افدح وابقى على مر الزمن من خسائر الفزو العسكري (سعيد، جودت، ١٩٧٥).

وقد تراكمت المعرفة العلمية في علم النفس وتعاظمت الأهمية التطبيقية لفروعه في عدد كبير من نواحي الحياة الإنسانية العقلية والوجدانية والتربوية والاجتماعية والإعلامية والتعليمية والعملية، للأفراد والجماعات في حالات السواء والمرض، وفي مختلف مراحل العمر الإنساني.

بحيث أصبح من واجب المسلمين تحصيل النافع من هذا العلم، إذا أرادوا صحة بعد غفوتهم، وتقدما بعد تأخرهم، وحماية لكيانهم ولعقيدتهم.

وإذا كان المستشرق الاسكوتلاندي المعاصر مونجومري وات (Wett M., 1974) يتساءل في كتابه : « محمد النبي ورجل الدولة » (بعد أن يذكر أن الإسلام دين أقام حضارة عريقة في الماضي):

يتساءل : هل يمكن أن تقوم بهذا الدين حضارة حديثة ؟ ويترك الإجابة عن هذا السؤال (على سبيل التحدي للمسلمين المعاصرين)، أي لقدرتهم على استعادة عناصر الأصالة لديهم عن طريق تشكيل حياتهم بأسلوب إسلامي ومعاصر معاً. وهو متحد مفروض على هذه الأمة الإسلامية، بحكم دورها الذي يمكن أن تلعبه إذا تمثلت تعاليم دينها الحنيف، أولاً، واستوعبت العلوم النافعة ثانياً.

٢- وفي ضوء ما سبق يتبين أن الإسلام يوجب على علماء النفس المسلمين، ما يأتي:

(١) اكتشاف سنن الله في النفس، فالمسلم المتبصر الذي تعلم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً ». يدرك أن هذا البنيان المتمثل في تماسك الجماعة المسلمة يحتاج إلى علم، لكي يقوم على أسس ودعائم سليمة تساند الإيمان وتحميه وتكون فعالة في إقامة دعائم البنيان الإسلامي المتماسك، بدلا من أن تنفعل باحداث من نوازع النفس الامارة بالسوء أو دوافع المترصين بالإسلام فتتداعى الجماعة المسلمة، ويهلك بذلك أبناء المسلمين، وتشوه صورة الإسلام (كما هو حادث في هذا الزمان).

وينفس الطريقة يفهم عالم النفس المسلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد، إذا استكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى، والسهر» - أن أجسام الجماعات الإسلامية تحتاج لحفظها إلى اكتشاف السنن والقوانين التي تستقحم بها هذه الجماعات (انظر، سعيد، حودت، ١٩٧٥).

كما يوجب الإسلام على علماء النفس تسخير قوانين السلوك البشري، لصالح الإنسان المسلم وحماية الإسلام والمسلمين.

٣- أعداء الإسلام يدركون قيمة علم النفس في اكتشاف قوانين السلوك وتعديله، وتطويع هذه القوانين لصالحهم:

ويكفي هنا أن نشير إلى أن أعداء الإسلام ينظمون فرقاً بل ومراكز للبحوث النفسية والنفسية الاجتماعية لدراسة أحوالهم ولتغييرها للأفضل من ذلك مثلاً:

١- اتقان علماء النفس اليهود لعلم النفس الاجتماعي واكتشاف قوانين التفاعل الاجتماعي في الجماعات وتغيير الاتجاهات ومن أمثلة ذلك أن عالم النفس الصهيوني « كيرت ليفين » (K.Levien) الذي يلقيه الصهاينة بأسم « الصهيوني المتأجج » (والذي لا تعرف هذه الصفة عنه في العالم العربي، وإنما يعرف بتجاربه الدقيقة من قياس وتغيير « مناخ الجماعات الصغيرة وسلوك الزعماء، والتوتر داخل الجماعة » مما يحتل أعظم إنجازات علم النفس الاجتماعي الحديث (سوف، ١٩٦٠م، ص ٣٠٠). وليفين في الأصل عالم للفيزياء صهيوني - ألماني هاجر إلى الولايات المتحدة الذي تفرغ لدراسة قوانين التفاعل بين الأفراد في الجماعات الصغيرة، وله إسهامات في دعم الصهيونية، وتقوية معنويات الأقليات اليهودية في العالم من خلال مركز بحوث دراسات الجماعات الصغيرة بجامعة متشجان، والذي اشتهرت بحوثه منذ الثلاثينات.

وبرز تلامذته في بحوث « ديناميات الجماعة، وحل الصراعات داخل الجماعات وفيما بينها ». (انظر كتاب Hare P.A., 1972).

ب- وجود مراكز البحث العلمي النفسي في إسرائيل، هذا فضلاً عن وجود أكثر من مركز علمي متخصص في الدعوة الصهيونية وبناء الإنسان الصهيوني في إسرائيل منذ إنشائها وحتى الآن.

ومن أهم هذه المراكز:

- ١) مركز الدراسات الاجتماعية التطبيقية بحيفا.
- ٢) مركز البحوث بالجامعة العبرية بالقدس ويرأسه عالم نفسي أمريكي صهيوني كبير هو (جوتمان Guttman)

هذا فضلاً عن :

- تجارب وبحوث علماء النفس اليهود في اسرائيل وفي أنحاء العالم كله فيما يتصل بتنشئة أبناء الصهيونية الجدد في « الكيبوتزات » باسرائيل، وفي بلادهم الأخرى خارج اسرائيل (حفني، قدرى، ١٩٧٩).
- وبحوث ودراسات الباحثين الصهاينة داخل وخارج اسرائيل حول « الهوية الفلسطينية » التي عجزوا عن اقتلاع جذورها الإسلامية، فضلاً عن جهود علماء النفس اليهود في جميع أنحاء العالم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والمجترا وفرنسا- في دعم الهوية الصهيونية ،
- ويكفي أن نلقي بنظرة عامة على اعداد كل من : «مجلة علم النفس الاجتماعي» Journal of Social Psychology ومجلة حل الصراعات "Journal of Conflict Resolution" وغيرها من المجلات التي يسيطر عليها الصهاينة منذ انشائها من عشرات السنوات، لكي نجدها مليئة بدراسات نفسية اجتماعية عن :
- صورة العرب في العالم، وصورتهم عند أنفسهم (وخاصة عرب الأراضي المحتلة).
- علاقات الصراع في الشرق الأوسط.
- الهوية الفلسطينية.
- مختلف الأساليب المقترحة حول حل مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي.
- جهود تطبيع العلاقات الاجتماعية بين العرب واليهود داخل اسرائيل وخارجها.

ج- اهتمام عدد من مراكز البحث العلمي النفسي والاجتماعي وعلماء النفس والانثروبولوجيا الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية والشرقية بدراسة عوامل القوة والضعف عند المسلمين، ومن ذلك الدراسة الموضوعية لاكتشاف عوامل ازدهار وتدهور « روح الجهاد » والروح القتالية عند المسلمين، كما تستمد من القرآن الكريم والتراث الإسلامي ، وعوامل تجمع وتفرق

" الجماعات والمجتمعات الإسلامية، ويمكن أن نجد الكثير من هذه الدراسات في مجلات علمية مثل مجلة "Human Relations".
والعجيب أنه لم يتقدم بعد، عدد من الباحثين المسلمين، لدراسة هذه الموضوعات بشكل منظم، ولا يخفي الخسائر الناجمة عن غياب هيئات علمية إسلامية تولي هذه الموضوعات عناية خاصة

- (د) وجود مراكز بحث علمي مسيحية، وانعقاد مؤتمرات علمية مسيحية متخصصة ينظمها فرق من علماء السلوك المسيحيين بالجامعات أو الرهبان المسيحيين وعلى سبيل المثال فقد اشتملت منشورات المؤتمر الكاثوليكي العالمي عام ١٩٦٧ على :
- ١- وضع خطة للملامح المخطوط الرئيسية المشتركة بين أصحاب جميع العقائد المسيحية.
 - ٢- تحديد أهم المعالم المشتركة أو العناصر التي تيسر التفاعل بين المسيحيين وأصحاب المعتقدات السماوية الأخرى: كاليهودية، والإسلام، بل والديانات غير المساوية مثل البوذية والمجوسية.. الخ، والمعتقدات الأرضية مثل الشيوعية.. إلخ وذلك تيسيراً لطرق مخاطبتهم وجذبهم إلى بعض ملامح الثقافة المسيحية.
 - ٣- وضع خطط منظمة لاشراك أكبر عدد من العلماء العلمانيين في تخطيط وتنفيذ المخططات الدينية المسيحية من خلال برامج التعليم والثقافة المختلفة.
 - ٤- التخطيط لاشراك أكبر عدد من جمهور المسيحيين في النشاط الديني المسيحي والدعوة للمسيحية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.
 - ٥- اعداد أجيال من الكتاب والمؤلفين والمنتجين للمواد الثقافية والإعلامية ممن يتشربون بالثقافة المسيحية لتفديدها في أعمالهم بطريقة غير مباشرة .. إلخ (وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني، ١٩٧٠م).
- « اليس المسلمون أولى، بتطبيقات علم النفس، تنمية لأنفسهم وحماية لعقيدتهم ومقدساتهم ومستقبلهم ؟ »

ثانياً - أهم العقبات أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس:

تأتي معظم العقبات أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس من مصدرين أساسيين :
المصدر الأول لعقبات التأصيل الإسلامي لعلم النفس:
يتمثل في عقبات يضعها - أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس - مفكرون

ينتمون إلى تخصصات أخرى، خارج التخصص النفس وإن كانوا يعنون بالإنسان المسلم، ويعتقدون أنهم يدافعون عنه.

١- من أمثلة هذه العقبات اعتقاد البعض بعدم علمية علم النفس، وأن مواصفات العلم الدقيق لا تنطبق عليه، كما أنهم لا يعتقدون في اكتشاف قوانين علمية للسلوك البشري، كما يدعى علماء النفس، ومن القائلين بها الرأي، كل من (الطول، توفيق ١٩٨٢م Al Farouki, 1977 والأديب المفكر مصطفى، محمود، ١٩٧٦).

ويتعارض هذا مع أفكار إسلامية مخصصة حاولت تلمس سنن الله في النفس والمجتمع مثل جهود مالك بن نبي، وسعيد جودت (بن نبي، مالك، ١٩٦٨؛ وسعيد، جودت، ١٩٧٥).

ولا يخفى على أي دارس مبتدئ لعلم النفس انطباق شروط العلم الحديث على الدراسات النفسية، كما أنه يتعلم قوانين الإدراك والتذكر والتعلم والتفاعل الاجتماعي، لكن عدم ذبوعها في العالم العربي هو الذي وراء هذه العقبة.

٢- ومن العقبات الأخرى، اعتقاد البعض أن علم النفس برمته مرفوض لأنه غربي ومادي (الفاروقي، ١٩٧١، الشرقاوي، ١٩٧٧).

ويكشف هذا عن عدم القدرة على الفصل بين خصائص الثقافة الغربية المادية، وبين نتائج البحوث التجريبية التي تكشف عن سنن الله التي تحكم السلوك البشري.

٣- واعترض البعض على اعتماد علم النفس- في إطار المدرسة السلوكية الميكانيكية الساذجة- على التجارب الحيوانية، مما يبعد أن يكون علماً للنفس البشرية، رغم أنه قد وجه - من داخل علم النفس أنواع من النقد لنماذج التجارب الحيوانية وما أقيم عليها من نظريات لتفسر سلوك الإنسان وعملياته العقلية العليا، واقترحت نماذج أكثر ملاءمة لدراسة العمليات المعرفية والوظائف العقلية العليا، والجوانب الروحية مع وضع التجارب الحيوانية في إطارها المحدود.

وهذه الأوجه من النقد، لا تنفي وجود علم نفس يكتشف قوانين السلوك والتفكير والانفعال، والتفاعل النفسي بين الأفراد، وتتغير - من حين لآخر الأطر النظرية أو المسلمات العامة له، مما يدفعه إلى مزيد من الكفاءة في التنبؤ بالسلوك البشري وامكان وضع مبادئه في خدمة الإنسان (مثله مثل أي علم من العلوم الأخرى).

٤- واعترض كثير من النقاد والأدباء والمفكرين في المجتمعات الإسلامية على علم النفس برمته، على أساس التوحيد بين علم النفس اجمالاً، وبين مدرسة التحليل النفسي الفرويدي بوجه خاص- على أساس أن فرويد في نظريته للتحليل النفسي، قام بتشويه دوافع الإنسان، واختزلها كلها في الغريزة الجنسية* (مصطفى، محمود، ١٩٨٨م).

مع العلم بأن نظرية التحليل النفسي، ليست هي كل علم النفس، بل لم تعد إلا جزءاً من تاريخ علم النفس، يضرب به المثل في دراسة تاريخ علم النفس على أنواع الأخطاء المنهجية والعلمية في صياغة الأطارات النظرية.

ومعظم اساتذة علم النفس المتخصصين في العالم العربي والإسلامي، يشرحون أوجه القصور المنهجي في هذه النظرية بشكل موضوعي (انظر البدري، والسيد وآخرون، ١٩٧٩، ١٩٩١).

حيث يتفق معظم الباحثين الآن على وجود محكات أساسية تكشف عن كفاية تطبيق المنهج العلمي، من أهم هذه المحكات :

أ- وجود علاقة دينامية بين المشاهدات الموضوعية والإطارات النظرية، لأن القيام بالتجارب وجمع المشاهدات، لا يستوعب النشاط العلمي كله، لأن هذا النشاط دينامي متتابع الحلقات، تتفاعل فيه كل من المشاهدات المضبوطة (والتجارب) والمفاهيم المجردة، والمفهوم الخصب هو الذي يثير مزيداً من التجارب والمشاهدات تتسم بنوع من الخصوبة.

ب- توفر شروط التحقق من النظريات العلمية: إذ أن جمع المشاهدات لتأييد نظرية معينة له ضوابط، حتى لا يتحول إلى مجرد تجميع مشاهدات متحيزة، تؤيد النظرية. لهذا، فلا بد أن يتوفر في النظرية العلمية عدداً من الشروط، من أهمها:

(*) قد نلتمس العذر لغير المتخصصين في هذا الخطأ، لأن علم النفس الذي كان يقدم في مصر والعالم العربي من خلال التدريس بالمدارس والجامعات ووسائل الإعلام حتى أوائل الستينات كان مخالفاً لعلم النفس العلمي، كما يقدم في المدارس والجامعات الغربية نفسها. كما أن فرويد والتحليل النفسي ودراسة الجانب الوجداني هو الذي يرتبط غالباً بمعنى علم النفس لدى عامة الجمهور في مصر بفعل الكتابات الأدبية والأعمال السينمائية. - إلخ (السيد، عبد الحليم محمود وآخرون، ١٩٨٨م، ص ١٣-١٨)

- (١) أن تتنبأ - على سبيل المخاطرة - ببعض الأمور، على أن لا يقتصر دورها على تفسير ما يحدث بعد حدوثه.
- (٢) أن تتنبأ بعدم حدوث بعض الأمور.
- (٣) لا تقبل النظرية، ولا ينطبق عليها مواصفات النظرية العلمية، إذا لم تقبل التحقق منها أي لم تقبل إمكان الرفض أو جمع بيانات للتحقق من الظروف التي من شأنها إذا توفرت أن تؤدي إلى رفض هذه النظرية (Popper, 1972).

وقد أدى تطبيق هذه المحكات إلى حسم كثير من أوجه الخلاف التي ثارت حول بعض النظريات التي لم يتوفر فيها شروط النظرية العلمية مثل (نظرية التحليل النفسي التي قدم فيها فرويد وتلامذته عدداً من القضايا لا يمكن التحقق من بطلانها مثل « مفهوم عقدة أو ديب » وقد ظل هذا المفهوم غير قابل للتحقق من بطلانه إلى أن أمكن وضعه موضع الاختبار عام ١٩٢٧م فتبين بطلانه*.

كما أن الانجازات التنظيرية في علم النفس الحديث تعاضمت أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية؛ ويكفي أن نجد حوالي (١٥) نظرية للتعليم تعرض في كتاب هيلجارد (Hilgard) عن « التعليم »، و (١٢) نظرية عن تغير الاتجاهات يعرضها « اينسكو » (Insko, 1967)، فضلاً عن نظريات الشخصية والذكاء والقدرات الإبداعية !

ونظريات علم النفس الاجتماعي المعاصر تؤكد على توجهات سيكولوجية التعلم وعلم النفس المعرفي وسيكولوجية اتخاذ القرار، وسيكولوجية لعب الدور نظرية التنظيمات (Inedp, 1985) ليس فيها أي إشارة إلى التحليل النفسي.

(*) وذلك على يد الباحث الأثنروبولوجي د. مالينوفسكي حوالي عام ١٩٢٧م الذي عثر على مجتمع بدائي يتمثل في قبائل التروبياند في بعض جزر جنوب غرب المحيط الهادي، حيث تنفصل فيها وظائف الأب كما تتم في المجتمعات الحديثة.

إذ يقول الحال بتأديب الأبناء، ويقوم الأب بحب الأم، وعندئذ افترض الباحث إمكانات تحقق من صحة أو بطلان فرض فرويد بأن الأبناء يكرهون الآباء لأنهم يحبون الأمهات بدافع جنسي؛ وأوضحت المشاهدات بطلان الفرض الذي ذهب إليه فرويد إذ كان الأبناء يشعرون بالتقبل للأب، والضيق والتحمل من الحال. (محمود السيد، عبد الحليم، ١٩٧٩، ص ١٤)

كما أن الانجازات المتعددة للنمو أو الارتقاء العقلي والوجداني والادراكي التي لاصلة بها بالتحليل النفسي (Hussen,P.H.,1983, Osufsky,J.D., 1979).

ولا ينظر الباحثون المحققون إلى نظرية التحليل النفسي الآن إلا على أنها جزء «تاريخي» من التاريخ القديم لعلم النفس، يمكن أن نعثر فيه على أنواع من الأخطاء التقليدية في التفكير العلمي.

كما أن هذه النظرية قد فقدت مصداقيتها في مجال التشخيص والعلاج النفسي - وهو لب اهتمامها واصبح من المألوف أن نجد كتباً في علاج السلوك المرضى، لا يذكر فيها اسم فرويد ولا التحليل النفسي إطلاقاً (انظر Lindgy and Rowell, 1987).

وقد ناقش بعض الباحثين المتخصصين حجم المهاجمين لعلم النفس بمزيد من التفصيل، ليتمكن الرجوع لمثل هذه الكتابات التي تتبع حجم المهاجم لعلم النفس - من غير ذوي الاختصاص وترد عليهم (انظر، ابو حطب، ١٩٨٩).

المصدر الثاني : لعقبات التاصيل الإسلامي لعلم النفس :

يتمثل هذا المصدر، في عقبات تدرج من بعض المفاهيم الخاطئة المتداولة بين عدد من الأساتذة المشتغلين بعلم النفس، أي أنها عقبات تأتي من داخل التخصص أو تصورات أهل التخصص، ومن أهم هذه العقبات :

١- رفض بعض الأساتذة - الذين أموا دراستهم العليا في علم النفس بالخارج، أو على أيدي أساتذته تعلموا بالخارج، وبالمفهوم الغربي الذي يعزل العلم عن الدين - لموضوع اسلمة علم النفس، على أساس افتراض حياد العلم، والحرص على عدم الزج بالدين والفلسفة في ميدان العلم.

ومعظم هؤلاء الأساتذة يفصل بين حياته العلمية وحياته الدينية التي يحرص فيها على الإلتزام بأداء شعائر الإسلام والمشاركة في المواقف الدينية الحياتية (البديري، ١٤٠٧). وعدم التنبيه المعضل بين مكونات الثقافة الغربية ومسلماها

من ناحية، وبين المناهج والأساليب والتجارب العلمية من ناحية أخرى، هو مصدر هذا الرفض.

٢- ويرفض البعض الآخر من أساتذة علم النفس- في العالم العربي والإسلامي- عملية الأسلمة أو تكوين « علم نفس إسلامي» على أساس أن هذه العملية تحول علم النفس لدى المسلمين إلى مجرد أحد فروع علم النفس الديني، يمكن أن يطلق عليه اسم « علم النفس الإسلامي» تماماً كما يوجد علم نفس مسيحي ، وعلم نفس يهودي... إلخ. هذا يمثل تضييقاً لنطاق الإهتمام بموضوعات النفس الحديث ومكتشافاته، التي تتناول جانباً عريضاً من الوظائف النفسية المعرفية والوجدانية والدافعية ونماذج التجريب والتعلم ونمو الشخصية ، وتطبيقات علم النفس في مختلف مجالات الحياة.

مع أن المقصود بالتأصيل الإسلامي ، هو ازدهار كل فروع علم النفس، في إطار الثقافة الإسلامية وخدمة للأفراد والجماعات والمجتمعات الإسلامية.

ويبدو أن مفهوم الأسلمة باللغة الانجليزية(١) عند ترجمته إلى العربية، يوحى بإيحاءات يفني عنها تماماً مصطلح « التأصيل الإسلامي لعلم النفس» لأن الأسلمة قد توحي بتحويل علم النفس من الكفر إلى الإيمان ، كما أن مفهوم علم النفس الإسلامي قد يوحى بالدعوة إلى إنشاء فرع لعلم النفس الديني الإسلامي (أبو حطب، ١٩٨٩م).

وحقيقة الأمر أن المطلوب ليس هكذا إذ أن مفهوم التأصيل يوحى بأنه في إطار الثقافة الإسلامية ومسلماتها، ينبغي تنظيم جهود علماء النفس في العالم العربي والإسلامي، في جميع مجالات الإهتمام التي يشتغل بها علماء النفس في العالم الآن بهدف تنمية طاقات الأفراد والجماعات ، وحل مشكلاتهم، فضلاً عن محاولة اكتشاف قوانين السلوك الإنساني أو سنن الله في النفس ، من أجل تسخيرها لصالح الإنسان المسلم والمجتمع المسلم.

٣- ويرفض البعض مفهوم التأسيس الإسلامي أو يعترض عليه، لاعتقادهم أنه مجرد دعوة للاعتماد الكامل على التراث الإسلامي القديم وإهمال موضوعات علم النفس الحديث.

وهم يرفضون هذا، إما لاعتقادهم أن هذا الرجوع للأصول التراثية ما هو إلا أحياء لتراث قديم كان المفكرون الإسلاميون فيه مجرد نقله للتراث اليوناني - كما يدعى تماماً مؤرخو الغرب، لجهلهم أو تجاهلهم هذا التراث، أو يرفضون هذا الرجوع للتراث لأنه فكر قديم وغير معاصر ولا صلة له بموضوعات علم النفس الحديث!

ولاشك عن عدم نشر التراث الإسلامي في علم النفس نشراً ملائماً، هو المستول عن هذه العقبة، لأن باحثين محققين اثبتوا فعلاً أن معظم التراث الإسلامي لم يكن مجرد ترجمة لتراث اليونان، وإنما كان لعلماء المسلمين فيه إسهام وإضافات سبقوا بها علماء الغرب في مجالات عديدة منها مجال الإدراك الحسي، والتشريط، والتذكر والنسيان... إلخ. (انظر نجاتي، ١٩٩٢م؛ ابن الهيثم، ١٩٨٣م)

كما أن الرجوع لهذا التراث لا يعني عدم فرزهِ وأخذ المفيد وإبرازه، وترك ما لا قيمة له، إلا أنه لا يعقل أن يكون للمسلمين هذا الترك الذي هو جزء - مطموس المعالم - من حلقات تاريخ علم النفس في العالم - ويتجاهلوه أو يجهلوه تماماً كما يفعل علماء الغرب - البعدين عن اللغة العربية ومصادر التراث الإسلامي - عندما يؤرخون لعلم النفس.

هذا فضلاً عما تسديه عملية تكشيف المصادر النفسية التراثية من خدمة جلييلة للمصطلح النفسي في علم النفس في البلاد العربية الإسلامية، مما يساعد على حل بعض مشكلات في استخدام المصطلحات بين المؤلفين المحدثين، في العالم العربي، مثل مشكلة استخدام أكثر من مصطلح للتعبير عن نفس المفهوم، أو تداخل المعاني أو دلالات بعض المصطلحات التي يستخدمها البعض، مما يدعو إلى استخدام المصطلح الواحد بمعنى واحد، والتمييز بين الفروق الدقيقة في معاني بعض المصطلحات (السيد، عبد الحليم محمود، ١٩٩٢م).

٤- تفسير بعض المحاولات التلغيفية التي يقوم بها بعض الباحثين النفسيين باسم «الأسلمة»، حيث تتسم بعض هذه المحاولات بالسطحية والافتعال، والتعسف، مما

ينفر البعض من يعتقد أن هذا هو « نموذج الأسلمة » لعلم النفس. كما قد تؤدي موجات الهجوم الشديدة على من يحاولون عملية الأسلمة دون التسلح بمهارات الرجوع إلى الأصول التراثية، وحسن صياغة القضايا، إلى احجامهم، وبعض زملائهم عن معاورة المحاولة (البديري، ١٩٨٧م).

٥- يؤدي عدم تبني أية هيئة علمية على مستوى العالم العربي كله، لمسئولية تنظيم عملية التاصيل الإسلامي لعلم النفس- وتوضيح مفاهيمها، والتخطيط لعملية التاصيل ووضع مراحل لها، ومتابعة الجهود لتحقيقها، ورصد مكافئات وجوائز للإنجازات البارزة في هذا الميدان - يؤدي هذا الافتقاد لهيئة علمية تنظيم جهود التاصيل الإسلامي في العالم العربي، إي تناثر الجهود، والاعتماد على مجهودات فردية، أو على إقامة الندوات أو المؤتمرات في أوقات متباعدة، ويغلب أن تنحصر آثار هذه الندوات في دائرة ضيقة من تتاح لهم المشاركة فيها، لأن معظم أعمال هذه الندوات محده النشر والتوزيع وهذا يدعم ظروف استمرار كل العقبات التي سبق الإشارة إليها.

ثالثاً - أهم ملامح التاصيل الإسلامي المتكامل لعلم النفس

يقترح أن تعتمد خطة التاصيل الإسلامي المتكامل لعلم النفس في البلاد العربية والإسلامية على تحقيق أكبر قدر من الاتفاق بين المشتغلين فعلا بعلم النفس في الجامعات ومراكز البحث العلمي (ويستبعد في المرحلة الأولى من هذه الخطة مؤقتاً مخاطبة غير المتخصصين أو الهواء من عاقبة أو خاصة المثقفين)* من خلال التمييز بين كل من:

(١) الجوانب المشتركة بين علم النفس، وبين غيره من العلوم الكونية؛ وهذه الجوانب عامة مستقلة إلى حد كبير عن ظروف الثقافة المحلية التي ينتمي

(*) لأن من شأن اتفاق علماء النفس فيما بينهم من ناحية، وفيما بينهم وبين العلماء من تخصصات أخرى متكامله ومتعاونه (مثل: علماء التربية، وعلماء الاجتماع، والعلماء من التخصصات الشرعية . . إلخ- من ناحية أخرى)، على عدد من أسس التاصيل الإسلامي، أن يجعل مهمة التاصيل أقل غموضاً، وأقل قابلية للخلاف على جدواها، وطبعاً هذا لا يمنع تنوع الأفكار وراثتها حول أساليب تحقيق عملية التاصيل . كما أنه لن يمنع بعض الحالمدين على « الإسلام » نفسه، من مهاجمة عملية التاصيل لما تحفظه من دعائم بناء الإنسان المسلم.

إليها العلماء، مما يعتمل في كل من: إن علم النفس كعلم ، يتميز بفروعه النظرية والتطبيقية، تتراكم بحوثه ونتائجه بشكل متزايد ، يشترك مع غيره من العلوم الأخرى في عدد من الخصائص، التي لا تكون بدونها المعرفة علماً من العلوم الحديثة.

ويتمثل هذا الجانب المشترك بين علم النفس وكل العلوم الكونية في كل من :
١- وجود الأطر النظرية أو المسلمات أو فلسفة العلم السائدة التي يحددها مستوى التنظير لدى علماء العصر، وتاريخ العلم ومستوى تقدمه . . الخ.
من ذلك مثلاً :

تأكيد الجانب الموضوعي أو الواقعي المتمثل في جمع البيانات - في مقابل-
تأكيد أولوية الجانب العقلي التصوري وتأكيد التوجه النظري أو وجود النظرية
متشعباً من خلال بعض الفروض.

وقد تعرضت فلسفة العلم التي وجهت علم النفس والعلوم الأخرى لعدد من
التغيرات الأساسية - ابتداءً من أواخر الخمسينات أو كل الستينات.
حيث تغيرت من فلسفة تؤكد المعرفة الواقعية (الامبيريقية) إلى فلسفة تسلم
بالتوجه العقلي للمعرفة، بحيث أن أكثر المشاهدات حياداً لا يتحقق إلا من خلال نوع
من التجريد التصوري.

وقد ساهم عدد من فلاسفة العلم في الغرب في هذا التغيير في فلسفة العلم،
ابتداءً من « بيبر » (Pepper, 1942)؛ و « هانسون » (Hansson, 1958) ؛ و « كارل
بوبر » (Popper, 1958, 1972) ؛ و « كون » (Khun, 1970) الذي نشر فلسفة
للعلم تؤكد المسلمات العقلية المعرفية مما أدى إلى ظهور إطارات تؤكد العلاقة بين
الأنساق التصورية والبحوث الواقعية.

كذلك فإنه بينما تؤكد بعض فلسفات العلم أن هدف العلم إنما يتمثل في اكتشاف
قوانين كلية عامة، عن العالم والسلوك، يؤكد البعض الآخر أن هدف العلم إنما يتمثل
في محاولة حل المشكلات.

ومع أن أي تصور لفلسفة العلم لا يمكن أن يلقي قبولاً عاماً من سائر العلماء إلا
أن تصوراً معيناً هو الذي يظل سائداً لفترة من الوقت، إلى أن ينبثق إطار جديد يحاول

أن يثبت نفسه ويتجنب عيوب الإطارات السابقة، ولا يلبث أن يسود لفترة من الوقت ليحل محله إطار جديد. هذه هي طبيعة العلم البشري المحدود، الذي يحاول جاهداً أن يصحح مسار نفسه.

المهم أن فلسفة العلم التي تفتح آفاقاً لمزيد من البحث والتي تمثل إطاراً لبرامج البحث، توجهه لفترة من الوقت إلى أن يحل غيرها محلها، يشجعها الإسلام بقدر ما تؤدي إلى اكتشاف سنن الله في الكون والنفس، ولا يعترض عليها ما دامت لم تتعارض مع أهم خصائص التصور الإسلامي للكون والإنسان.

٢- الشروط المنهجية للنشاط العلمي:

من أهم جوانب الاتفاق بين الباحثين توفر عدد من الشروط المنهجية فيما يوصف بالنشاط العلمي.

ومع أن كل علم من العلوم (الطبيعية والإنسانية) يتضمن تراثاً متراكماً من المعرفة الترجيحية* (ويستبعد من هذا الرياضيات لأنها تمثل أداة صورية للعلوم وليست علماً يضيف عن العالم شيئاً).

ويتمثل هذا التراث في سلسلة مترابطة من المفاهيم والإطارات النظرية التي نشأت نتيجة استخدام المنهج العلمي الذي يساعد على اكتشاف المتغيرات الهامة أو الربط بينها، أو تفسير العلاقات القائمة بين المبادئ والقوانين التي تفسر هذه العلاقات بين المتغيرات بل وتتنبأ بها.

وياستقرأ أهم ما يميز النشاط العلمي يتبين أن تراكم المعرفة الإنسانية وتنظيمها فقط لا يكفي لوصف مجال معين بأنه « علم » بالمعنى الحديث وإنما ينبغي أن يتوفر في هذه العلاقة شرطان:

الأول: إثارة مشكلة قابلة للحل أو التحقق منها في حدود القدرة البشرية العادية

الثاني: تطبيق المنهج العلمي على هذه المشكلة.

(*) لأن هذا من طبيعة علوم البشر كلها، ولأن اليقين لا يكون إلا لعلم الله تعالى.

مثل المنهج العلمي في أنواع النشاط المنظمة التي يتبعها العلماء لاكتشاف التغيرات الهامة في التطبيق أو الربط بينها أو تفسيرها، وتنوع المناهج المستخدمة وفقاً لطبيعة التغيرات ومستوى التقدم في دراستها مثل المناهج الاستكشافية أو الارتباطية أو شبه التجريبية أو التجريبية.. إلخ (McGuigan, 1983).

وهذا النوع من الإلتزام بالمنهج العلمي ليس غريباً على الثقافة الإسلامية إذ أن علماء المسلمين مثل: جابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، وابن سينا، والرازي كانوا رواداً في ابتكار المنهج العلمي التجريبي الذي حول، مجالات للمعرفة كاملة (مثل الكيمياء والبصريات والطب وعدد من مجالات علم النفس.. إلخ) إلى علم بعد تحويل الكيفيات إلى كميات ومقادير، وابتكار مناهج موضوعية مثل علم الميزان أو القياس الكمي للكيفيات. (انظر: مخطوط كتاب « البحث لجابر بن حيان، والقانون في الطب لابن سينا، والبصريات للحسين بن الهيثم.. إلخ).

فعلم النفس بوصفه نشاطاً إنسانياً يحاول اكتشاف قوانين السلوك الانساني - بجوانبه المعرفية والوجدانية، والاجتماعية.. إلخ - يتأثر بالثقافة التي ينتمي إليها الباحثون المشتغلون به، لهذا فإنه نمو هذا العلم نمواً حقيقياً - في البلاد العربية والإسلامية- رهن بظهور الخصائص المميزة للثقافة العربية الإسلامية في جوانب النشاط والانتاج العلمي للباحثين في البلاد العربية والإسلامية، أي رهن بظهور هوية عربية اسلامية لمعظم النشاط العلمي في مجال الدراسات النفسية ، وذلك كنتيجة

لوعي الباحثين في البلاد العربية والإسلامية بكل من :

١- الأسس الفلسفية العامة المميزة للثقافة الإسلامية.

٢- التصور الإسلامي للإنسان.

٣- تصنيف العلوم في إطار الثقافة الإسلامية.

٤- تحديد أهم ملامح أسس التصور الإسلامي للإنسان.

٥- تحديد أسس التصور الإسلامي لأخلاق العلماء بوجه عام وعلماء النفس بوجه خاص.

٦- استيعاب التراث الإسلامي المتمثل في جهود المفكرين السابقين في مجال دراسات خصال السلوك وأحوال النفس في كل من القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

٧- ترتيب الأولويات لموضوعات البحوث النفسية وتراث العلماء والمفكرين والأدباء واللغويين النابعة من الثقافة العربية الإسلامية.

ومع أن كل جانب من جوانب تحقيق الهوية الإسلامية التي تجعل لعلم النفس في العالم العربي والإسلامي خصوصيته الثقافية - مع اشتراك الباحثين العرب والمسلمين مع أخوانهم من علماء النفس في العالم في مجال اكتشاف سنن الله في النفس ومحاولة وضعها موضع التطبيق تماماً كما يوجد الآن، علم نفس ياباني، علم نفس صيني، وعلم نفس أوروبي في مقابل علم النفس الأمريكي - مع أن كل جانب من هذه الجوانب يحتاج وحده لعقد عدة ندوات ودعوة الباحثين من داخل مجال علم النفس ومن المجالات المتصلة بفروع الثقافة الإسلامية للمشاركة فيها- فسوف نقدم فيما يلي تخطيطاً مبدئياً، يمكن أن يكون بمثابة تمهيداً أو ورقة للعمل تبدأ منها عدد من الجهود البناءة، في ندوات ومؤتمرات ومؤلفات تالية ،

(ب) جوانب تتحكم فيها الثقافة التي ينتمي إليها العلماء: وتتمثل هذه الجوانب النسبة للثقافة الإسلامية، في كل من :

١- الفلسفة العامة المميزة للثقافة الإسلامية

تمثل هذه الفلسفة العامة إطاراً عاماً أو جسراً يعبره المجتمع للرقى والتقدم، كما تمثل سياجاً يحفظ الأفراد من السقوط أو الضياع. (مالك بن نبي، ١٩٦٨، ص ١٣).

فإذا تميزت التصورات الفلسفية العامة في المجتمعات الغربية بالمادية، وإذا كان تاريخ العلم لديهم ارتبط بمحاولات مستمته للتحرر من قبضة رجال الدين المتجمدين - فإن الأمر بالنسبة لعلماء المسلمين عموماً - في الماضي والحاضر - وعلماء النفس بوجه خاص يختلف تماماً. لأن الله تعالى أكرمهم بالانتماء إلى دين يدعو إلى العلم ويحث عليه.

لهذا فإن بلورة أسس التصور الإسلامي، أو خصائص الفلسفة العامة الإسلامية وخاصة التي تمثل مسلمات ينطلق منها العنصر في كل المجالات، (وعلماء النفس بوجه خاص) تحتاج إلى نوع من العناية، حتى لا تختلط بأية تصورات وثنية أو مادية. وهذا موضوع يحتاج وحده إلى عدد من الندوات أو المؤتمرات، وإلى لجان دائمة

تنتهي إلى مؤلفات شديدة الشمول والوضوح، تقدم فيها المبادئ التي يقرها معظم الثقافات من علماء المسلمين في كل من المجال النفسي والتربوي والاجتماعي والشعري، ويمكن أن تمثل - في هذه المرحلة - «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» التي أوجزها الشهيد سيد قطب في كتابه الذي خصصه لهذا الموضوع نقطة البداية في هذه الجهود وقد تمثلت هذه الخصائص في كل من :

- ١- الربانية.
- ٢- الثبات*
- ٣- الشمول.
- ٤- التوازن.
- ٥- الإيجابية .
- ٦- الواقعية .
- ٧- التوحيد.

٢) التصور الإسلامي للإنسان

علم النفس يحتاج إلى جهد خاص لصياغة التصور الإسلامي للإنسان ، وهناك جهود فردية قيمة رغم أنها غير منظمة، في هذا المجال، (انظر: قطب، محمد، ١٩٧٤؛ وادريس ، جعفر الشيخ، ونجاتي، محمد عثمان، ١٩٨٩).

ويمكن مبدئياً إيجاز التصور الإسلامي للإنسان ، في النقاط التالية :

١- التكريم :

قال تعالى: « ولقد كرّمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلاً». [سورة الإسراء، الآية.٧].

كرم الله الإنسان على كثير من خلقه :

- في هيئته، وفي فطرته التي تجمع بين الطين والنفخة الالهية.
- وفي استعداداته التي أودعها اللّ فطرته وجعلته فنا على الخلائق في ملك الله، واستأهل بها خلافة الأرض.
- ويتسخير القوى الكونية له .

(*) ثبات الحقيقة الالهية التي يتم في إطارها حركة الحياة لتعمير الأرض وتغيير الواقع وتطويره.

- وبذلك الاستقبال الضخم الذي استقبله به الوجود، وسجود الملائكة له، وإعلان الخالق جل شأنه هذا التكريم.
 - وكرمه بحمله في البر والبحر وتسخير النواميس له.
 - وكرمه بتفضيله على كثير من خلقه بهذا الاستخلاف في الأرض.
 - كرمه بجعله قيماً على نفسه محتملاً تبعه اتجاهه وعمله.
- وهذه الصفة الأولى هي التي تجعل الإنسان إنساناً، يتميز بحرية الاتجاه، وفردية التبعة وبها استخلف في دار العمل. (انظر قطب سيد، ١٩٧٧م، ص ٢٢٤١).

ب- الفطرة:

- أي استعداد الإنسان للميل إلى الحق، مما يجعله يختار الحق، حين تترك له حرية الاختيار على إلا يلحق هذا الاستعداد تشويه.
- فالإنسان يولد « مسلماً » وخيراً بالاستعداد، أما تحويله إلى مسلم بالفعل، فإنما يكون بعملية تنشئة في بيئة اجتماعية معينة، ومن خلال التربية التي يتلقاها من أبوية أو من يقوم مقامهما، ومن خلال تزكية للنفس.
- « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّأها، وقد خاب من دساها [الشمس، الايتان، ٧-١٠] ، (سعيد، جودت، ١٩٧٥م).

قال صلى الله عليه وسلم :

« كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ، » .

ج -- تحمل التبعة والمسئولية:

- خلق الله الإنسان، وجعله عاقلاً، مريداً ، مدركاً.
- وعقل الإنسان جعله صالحاً للتكليف وتحمل مسئولية الثواب والعقاب، وهذا الأمر يعجز عنه السماوات والأرض والجبال نظراً لضخامته.

قال تعالى :

« إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها واشغفن منها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولاً » [الأحزاب، الآية ٧٢] .

وهذا الإنسان كان ظلوماً لنفسه جهولاً بطاقته، بالإضافة إلى مازج بنفسه لحمله، خاصة وأنه مخلوق صغير الحجم محدود العمر، قليل القوة تتنازعه الشهوات والرغبات والميول لكنه يملك الإرادة، والادراك، والعقل، وحمل التبعة، وهذه ميزة الإنسان على سائر الخلق.. وهذا هو مناط التكريم في الملا الأعلى. (قطب، سيد، ١٩٧٧، ج٤، ص ٢٨٨٥).

د- المساواة ووحدة الأصل:

أي وحدة الانسانية، وأخوة جميع البشر مما تمثل في كون البشر جميعاً أبناء أب واحد وأم واحدة. قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم، ان الله عليم خبير». [الحجرات، آية ١٣].

فالمساواة هي الأساس، والتكريم إنما يكون بالتقوى، وهذا أيضاً مبداً يحتاج إلى وضعه في منظومة التصور الإسلامي للإنسان.

هـ- النية :

النية، بمعنى التوجه الأخلاقي أو الغائي للفعل، هي التي تكسبه قيمة حسنة أو سيئة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها الأعمال بالنيات، وإنها لكل أميين مانوس». .

وإهتمام علم النفس بالنية بالمعنى النفسي الذي يتصل بمجرد نزوع الارادة نحو شئ معين لتحصيله أو احرازه، أو بمنح حق الحياة أوالتحقق (دراز، ١٩٧٣، ص ص ٤٢١، ٤٢٢). يحتاج لمزيد من البحث والاهتمام بعلاقة النية بالمعنى الغائي الأخلاقي «بالدوافع» التي تحرك السلوك نحو الفعل الحسن أو القبيح خاصة، وأن النية هي التي يرتبط بها قبول العادات وتحمل المسئوليات بل أن الفعل الواحد يجازي به - حسب نية فاعله.

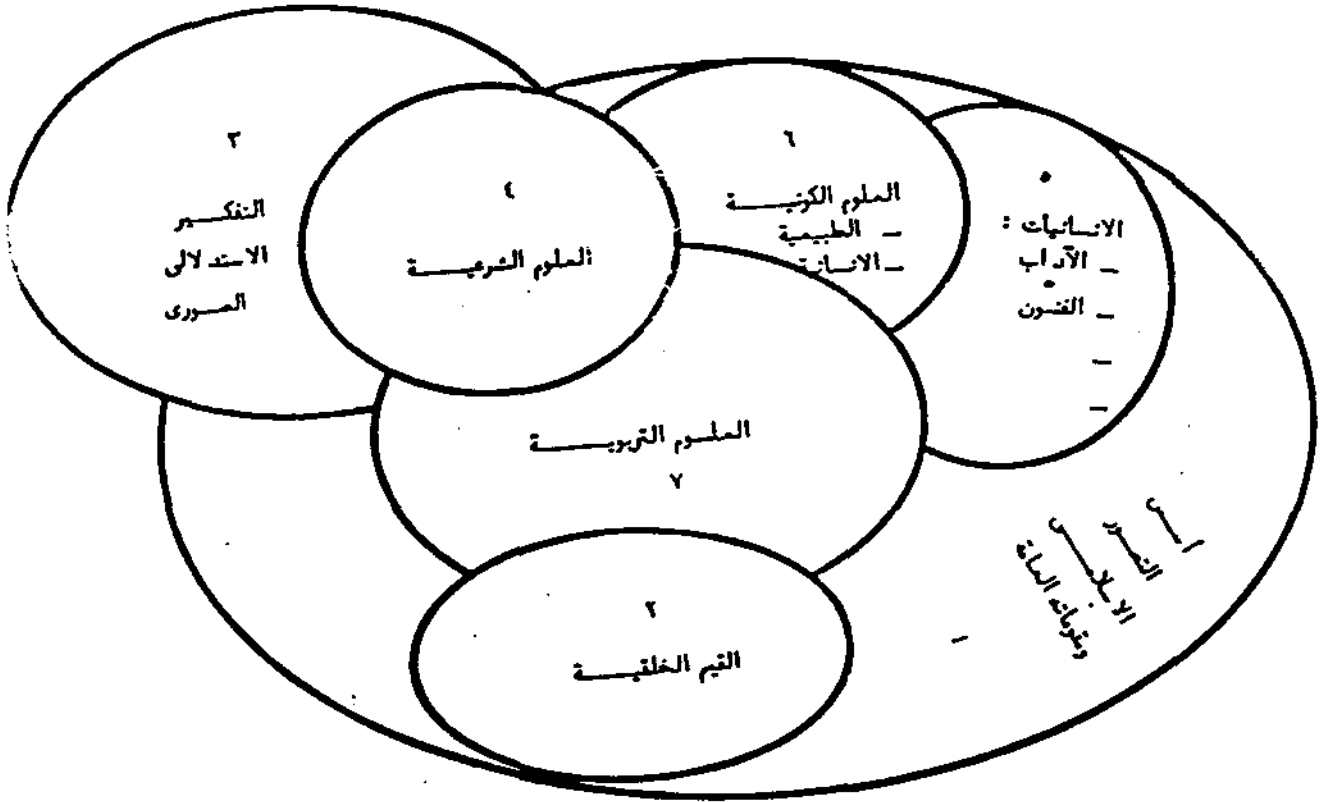
بل إن الفعل إذا تعلق به قصد تعلقت به الأحكام التكليفية، وإذا عرى عن القصد لم يتعلق به شئ منها، كعمل النائم، والغافل، والمجنون (عطية، جمال، ١٩٨٨م، ص ٢).

٣) تصنيف العلوم في إطار الثقافة الإسلامية :

حث الإسلام على اكتشاف سنن الله في الكون وفي النفس، ودعا أبناءه لاتقان كل العلوم الكونية التي تجعلهم يدركون آيات الله للكون وفي الأنفس، وتصلح لها معيشتهم، وكل العلوم الشرعية، التي تصلح بها أحوالهم في الدنيا والآخرة.

ويحتاج العلماء المشتغلون بالعلوم الكونية (وعلم النفس والعلوم الاجتماعية جزء من هذه العلوم) إلى تبني تصور لتصنيف لهذه العلوم في إطار الثقافة الإسلامية، مما يجعلها نابعة من هذه الثقافة وخادمة لها في نفس الوقت.

وفيما يلي نموذج مقترح لتصنيف العلوم الكونية (علوم الطبيعة والعلوم الانسانية بما في ذلك علم النفس)، والعلوم الشرعية، وعلاقتها بكل من علوم التربية والانسانيات والآداب والفنون والقيم الخلقية ويوضح الشكل التالي العلاقات بين كل من :



شكل رقم (١)

يوضح تصنيف العلوم الكونية والانسانية والشرعية وعلاقة كل منها بالآخر

١- أسس التصور الإسلامي: ومقوماته وهي تمثل إطاراً شاملاً يستوعب كل العلوم الأخرى (ماعدا التفكير الاستدلالي الصوري، فيأخذ منه ما يوظف في إطار الثقافة الإسلامية، لأن بنائه ليس علماً وإنما هو أداة للعلوم).

٢- القيم الخلقية: وتدخل في إطار التصور الإسلامي الشامل، ويدخل في إطارها كل العلوم الشرعية والتربوية والجانب الأخلاقي من العلوم والانسانيات.

٣- التفكير المنطقي الاستدلالي: أو المنطق الصوري، وهو أساس تعتمد عليه العلوم الشرعية، والعلوم الأخرى.

٤- العلوم الشرعية وأصول الفقه: وتقع ضمن الإطار الفلسفي الإسلامي، والقيم الخلقية الإسلامية وتتأثر بكل من العلوم التربوية والإنسانية وتؤثر فيها وتستعين بالاستدلال المنطقي.

٥- الانسانيات: الآداب والفنون، وفيها ينطلق الخيال ويستمتع بالوجدان، في « إطار التصور الإسلامي » ، ويتم تبادل التأثير والتأثر بين الانسانيات وكل من القيم الإنسانية والعلوم الكونية، حيث تستمد هذه العلوم من الانسانيات الأفكار الخصبية التي تسعى فيما بعد للتحقق منها بطريقة البحث العلمي.

٦- العلوم الكونية : وتتمثل في كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية (ومنها علم النفس)، وهي كلها تسعى لاكتشاف القوانين التي تعكس سنن الله في الكون وفي النفس.

٧- العلوم التربوية: تخدم هذه العلوم العملية التربوية للأفراد والجماعات، وتعتمد الخدمات التطبيقية لهذه العلوم على كل من القوانين المكتشفة في مجال علم النفس (كالتعلم... والدوافع) من ناحية وعلى الاطار الثقافي للحضارة التي تنتمي إليها من ناحية أخرى.

والمفروض أن تكون أسس التصور الإسلامي والثقافية الإسلامية العامة هي المصدر الرئيسي الذي تستلهمه هذه العلوم النفسية التربوية (كمصدر) وكهدف تسعى لتدعيمه.

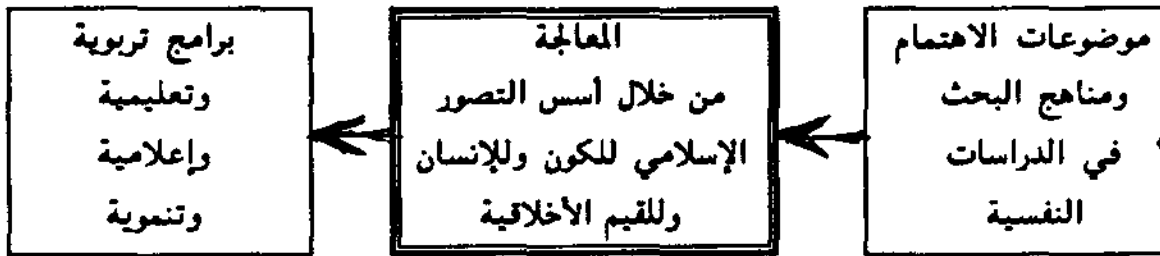
ويلاحظ أن هذا النموذج، يمكن أن يمثل تصنيفاً - في إطار اسلامي- للعلوم الكونية والانسانيات والقيم الخلقية التي تدخل كلها ضمن إطار شامل تحيطه أسس التصور الإسلامي ومقوماته.

وهذا النموذج نفسه ينطبق على تصنيف العلوم من منظور فلسفة عامة غير إيمانية، كل ما في الأمر أن مقومات التصور العام للكون وللإنسان (التي سيدخل ضمنها كل نشاطات الإنسان) تصبح في إطار عام آخر غير إيماني غالباً، حتى إذا ادعى أنه حيادي، لأن ادعاء الحياد عن التصور الإيماني، هو اقتصاد لهذا التصور الإيماني عن الحياة.

وهذا التصور الإسلامي لتصنيف العلوم والمعارف من شأنه أن يطلق طاقات العلماء المسلمين لاكتشاف سنن الله في الكون والنفوس، لتعمير الأرض وإقرار الحق وتكريم الإنسان عموماً والإنسان المسلم بوجه خاص.

كما أنه يسمح بالتفاعل بين مختلف جوانب النشاط الإنساني وإثراء للحياة ورفعها لها وتركيبة.

وبناء على هذا التصنيف نستطيع أن نتصور التفاعل بين كل من موضوعات الاهتمام في الدراسات النفسية والتربوية، ومناهج البحث التي تحاول اكتشاف سنن الله في الأنفس (أفراداً وجماعات) وبين الإطار الثقافي الإسلامي مما يترتب عليه برامج للتربية والتعليم والإعلام والدعوة تدعم كيان الفرد المسلم والجماعات والمجتمعات المسلمة، مما يمكن توضيحه في الشكل رقم (٢) التالي :



الشكل رقم (٢)

يوضح تفاعل موضوعات الاهتمام ومناهج البحث في الدراسات النفسية والتربوية مع إطار الثقافة الإسلامية والتصورات العلمية الإسلامية للكون وللإنسان وللقيم الأخلاقية، وما يترتب على هذا من برامج تربوية وتعليمية وإعلامية وتنموية تدعم كيان الأفراد والمجتمعات الإسلامية

٤- أسس التصور الإسلامي لأخلاق العلماء عامة (وعلماء لنفس بوجه خاص) من أهم ملامح هذا التصور تلك الخصال التي أكدها الزرنوجي في كتابه « تعلم المتعلم طريق التعلم (الزرنوجي) تحقيق عبد العاطي، محمد ١٩٥٦م، وقراءة سيد عثمان لهذا الكتاب عثمان، سيد (١٩٨٩).
وكذلك كتاب « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني.

ومن أهم المبادئ الأخلاقية للعلماء التي يؤكدتها التصور الإسلامي
- كما يعرضها الزرنوجي:

- ١- أن يكون هدف الباحث من طلب العلم، هو رضا الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل والضعف عن نفسه وعن سائر الناس، وإنقاذ الإسلام بالعلم والشكر على نعمة العلم والعقل والصحة البدنية والجسمية.
- ٢- دعم الخلق القويم ، لأن علماء النفس في جميع أنحاء العالم ملتزمين بالمبادئ التي يسلم بها مجتمعهم، وهنا يجب التزام الباحث والعالم المسلم في المجتمع الإسلامي بمبادئ الإسلام حتى إذا تعارض هذا مع مسلمات وسلوك باحثين غربيين، مثل قبولهم لأنواع الشذوذ الجنسي وعدم محاولة علاجها!
- ٣- الجدية والمواظبة والهمة في تحصيل العلم* ، قال تعالى : « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ».
- ٤- احترام العلماء والأساتذة والزملاء والتلاميذ والمبجوثين.
- ٥- عدم الاشتغال بشئ آخر غير العلم الذي ينفع المسلمين.
- ٦- طلب العلم والخبرة من كل مصدر، ومن جميع أنحاء الأرض، من أجل رفعة الإسلام.
- ٧- إعطاء أولوية للتخصصات ذات النفع الأكبر للمسلمين.

(*) نذكر هنا قول الأستاذ جودت سعيد ١٩٧٥، ص ١٢: أن في شباب العالم الإسلامي من عندهم اعتماد لبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الإسلام، ولكن قل أن نجد فيهم من يتقدم لبذل سنين عمره ليقضيها في دراسة جادة، لينضج موضوعاً، أو يصل به إلى تلمية حقيقية، كمشكلة الانفصال الذي يعيشه المسلم بين سلوكه واعتقاده.

- ٨- حسن الظن بالمؤمن.
 - ٩- التواضع وعدم التكبر.
 - ١٠- التحمل من السفهاء.
 - ١١- الصبر على طلب العلم.
 - ١٢- يلتزم الباحث المسلم، بكل مبادئ الأخلاق العلمية التي تقرها الجماعات العلمية العالمية في كل ما لا يتعارض مع مبادئ الإسلام الحنيف.
- مع الحرص على إبراز - وتمثّل - القواعد الأصولية للضوابط الأخلاقية لممارسات المهنة النفسية، وما يمكن أن يصاغ على ضوئها من الضوابط الأخلاقية والقواعد التطبيقية أو القانونية في ممارسة المهنة والعلاقة بين الباحثين فيما بينهم، وحقوق الباحثين،... إلخ (التويجري، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)
- ويمكن أن يمثل المبادئ والأسس السابقة، نواة لدستور أخلاقي لعلماء النفس في العالم العربي والإسلامي .

- ٥- إعادة استيعاب التراث الإسلامي من منظور نفسي
- أن من شأن حسن استيعاب الباحثين النفسيين للتراث الإسلامي وخاصة:
- أ- القرآن الكريم وتفسيره.
 - ب- الأحاديث النبوية وعلوم الحديث.
 - ج- المؤلفات الإسلامية في الفقه والفلسفة والطب والتصوف والأدب.
- من شأن هذا الاستيعاب أن يؤدي إلى :
- ١- إحياء الاهتمام بعناصر من التراث الإسلامي على جانب كبير من الأهمية، وتيسيرها للأجيال التالية.
 - ٢- استخلاص أبعاد ومتغيرات وإطارات نظرية نفسية، لم تخطر ببال الباحثين الغربيين لبعدهم عن الثقافة الإسلامية.
 - ٣- استخلاص المصطلحات العلمية وإحياء الملائم منها، ومتابعة حياة ما يصلح أو يمكن أن يقاس عليه.

ويتطلب هذا الاستيعاب للتراث، تنظيم عملية التأصيل الإسلامي، باتاحة كنوز التراث العربي والإسلامي للباحثين النفسيين، من خلال برامج ودورات للتعريف بالتراث

الإسلامي، وإنشاء مراكز بحثية، وفرق للبحوث وميزانيات ومكافآت وجوائز للجهود التي تسهم في دعم عملية التأسيس التي تتطلب عرض وتلخيص، وتكشيف كتب التراث المتصلة بالجوانب النفسية، سواء في كتب التفسير أو الحديث الشريف، أو السيرة أو كتب الطب أو التصوف، أو الأدب، أو كتب فقه اللغة أو الفروق اللغوية.. إلخ.

ورغم وجود جهود منتابعه في محاولة تحقيق كتب التراث مثل كتب ابن سينا، والرازي، والغزالي، والمعاسبي، والقاسبي، والرزنوجي، وابن جماعة وبعض جهود القراءة الحديثة للتراث (مثل عثمان، سيد ١٩٨٩م؛ نجاتي، عثمان، ١٩٨٠) وجهود بعض الهيئات التطوعية في محاولة تكشيف كتب التراث المتصلة بالدراسات النفسية (من ذلك محاولة المعهد العالمي للفكر الإسلامي التي تتضمن تكشيف وتلخيص حوالي «٣٠٠» كتاب من كتب التراث الإسلامي في الطب والأدب والفلسفة (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢م).

إلا أن العبء أكبر من أن يتحملة أفراد، أو هيئات تطوعية محدودة الإمكانيات، إذا أريد لعملية التأسيس أن تستوعب كل جوانب الثقافة الإسلامية، من أجل التيسير على الباحثين في استكشاف أهم ملامح تراثهم، مع عناية خاصة بعمل أولويات في تكشيف دعائم هذا التراث (في كتب التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه.. إلخ). لأن هذا هو الشق الأول من عملية التأسيس الذي يتمثل في استيعاب التراث الإسلامي.

ورغم ما تم من تحقيق ونشر الكثير من كتب التراث العربي الإسلامي التي تنصل بأحوال النفس الإنسانية، وتثري عملية التأسيس الإسلامي لعلم النفس، إلا أن عددًا كبيراً من ذخائر التراث العربي الإسلامي «النفسى» أما مطبوعة بطريقة غير مقننة بحيث يشق على غير المتمرس الاستفادة منها، لأنها غير محققة ولا مكشفة، أو مازالت حبيبة في خزانات المخطوطات في البلاد العربية أو الأجنبية، مما يستدعي حصرها ونشر معلومات عنها، وتلخيصها وتكشيفها ورسم برنامج لتحقيقها ونشرها بناء على خطة للأولويات، بعد الاستعانة بكل من علماء التراث، وعلماء المكتبات والوثائق.

أما الشق الثاني، فيتمثل في صياغة قضايا ومشكلات تلائم الثقافة الإسلامية من ناحية، وتنمي طاقات الأفراد والجماعات في المجتمع المسلم، وتحميه من كيد أعدائه من ناحية أخرى.

وتستلزم عملية التاصيل، تعاون الباحثين في مجال علم النفس مع الباحثين من تخصصات متكاملة ومآزرة (مثل التربية، والاجتماع، والإعلام، ومختلف علوم الشريعة) وتكون فرق بحثية للاتفاق على أهداف التاصيل ووسائله.

٦- ترتيب أولويات البحوث والدراسات النفسية والتربوية

من أهم ثمرات عملية التاصيل الإسلامي لعلم النفس، وجهود الفرق البحثية -متعددة التخصصات- ومساعدة الباحثين من مختلف المستويات- ابتداء من طلاب الماجستير والدكتوراه إلى أكبر الأساتذة، ومراكز البحوث النفسية* والتربوية والاجتماعية والإعلامية-، على اختيار موضوعات بحثية تعود باكبر فائدة على الإسلام والمسلمين.. وإدخال المتغيرات ذات الصلة بعناصر الشعور والاعتقاد والسلوك الديني في البحوث، بشكل يسمح بوضعها في الحسبان عند رسم خطط تعديل السلوك أو تغيير الاتجاهات، أو حسن التخاطب مع مختلف فئات الجمهور المسلم (خاصة وأنه لوحظ أن عدداً من البحوث التي تجرى في العالم الإسلامي تتجاهل هذه المتغيرات الدينية محاكاة للغرب)، مع أن الغرب يستخدم مبادئ علم النفس في مخاطبة المسلمين، بل وفي الإيقاع بينهم، وتشويه معلوماتهم.

وفيما يلي عدد من موضوعات البحث العلمي التي يعتقد أنها تحقق هدفاً عزيزاً علينا يتمثل في مجتمعنا الإسلامي، وحمايته وتحقيق وحدته وثقافته، ونشر دعوته على أسس رشيدة، حيث يقترح إجراء دراسات حول الموضوعات التالية (على سبيل المثال لا الحصر):

١- دعم الدعوة الإسلامية ومسانحتها؛

أ- وذلك بوضع ما توفر من العلم في خدمة الإسلام*.

(*) مثل: الرد على افتراء المستشرقين وغيبهم للنيل من كتاب الله تعالى أو رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أو عقيدة المسلمين .. إلخ.

ب- وضع برامج لتدريب الدعاة المسلمين.

ج) وضع نتائج علم النفس في خدمة حسن التخاطب بين المسلمين فيما بينهم، وتعليمهم آداب تحمل الاختلاف - في غير الأصول، وتحمل وجود آراء متعددة وأساليب متنوعة تسهم في تحقيق الأهداف الأساسية للإسلام، وتجنب عيوب التفكير التي تتمثل في التعميم الخاطيء، وغيره من غيوب التفكير التي تسهم في تمزيق العالم الإسلامي، (هويدي، فهمي، ١٩٨٧م؛ السيد، عبد الحليم محمود، دراسة غير منشورة).

٢- دراسة ودعم اهم اساليب ترشيد قيام المسلم بدور اجتماعي فعال ونبيل (ذكورا كان ام انثى) - في مراحل العمر المختلفة - في مجتمع الاغلبية الإسلامية (ذو الأقلية غير الإسلامية المعادلة أو المحايدة) وفي مجتمع الأقلية الإسلامية ذو الأغلبية غير المبالية، أو المعادية.

٣- دعم بحوث التنشئة الإسلامية السليمة للابناء في كل من الأسرة والمدرسة، ومن خلال جماعات الأصدقاء، ووسائل الإعلام، وأساليب نشرها ودعمها.

٤- تصور المسلم لنفسه ولجوانب القوة والضعف في شخصيته، وفي مجتمعه ، مقارنةً بأبناء الملل الأخرى، والتخطيط لدعم جوانب القوة والتقليل من جوانب الضعف.

٥- تحديد أبعاد الحد الأدنى المشترك من التصور الذي يتمثله فعلاً الأطفال المسلمون من أساسيات العقيدة والتصور الإسلامي، وتصحيح الأخطاء السائدة في هذا التصور، واعداد برامج تربوية لمختلفة الأعمار لتمثل أبناء المسلمين لمبادئ الإسلام الحنيف.

٦- الكشف عن درجة التنبه لدرجة اقتراب أو ابتعاد مصادر التوجيه والتأثير (التربوي والأخلاقي والإعلامي والتشريعي والاجتماعي والاقتصادي بل والترفيهي) (في المجتمعات الإسلامية) عن روح الإسلام، وعن أساليب ترشيدها إسلامياً، بأسلوب شيق لا يعتمد على مجرد القهر الظاوي وإنما يعتمد على تفجير طاقات الخلق والإبداع الإسلامي في مختلف مجالاته.

٧- رصد وتقدير أبعاد التغيير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وأساليب ترشيده إسلامياً.

٨- دراسة الملامح الأساسية للهوية الإسلامية لدى الشباب المسلم؛ جوانب الضعف

- والقوة بها، وأساليب ترشيدها وتميزها عن غيرها.
- ٩- دراسة أكفا أساليب حث أبنا المسلمين على الاعتزاز بانتمائهم للإسلام، داخل أوطانهم وخارجها.
- ١٠- تنشيط الدراسات والجهود التي تدعم علاقات التعارف ونشر الشعور بالوحدة والأخوة بين الشباب المسلم في العالم الإسلامي.
- ١١- أهم جوانب التنافر والتلاقي في التصورات والتصرفات لدى الشباب الإسلامي في مختلف البلاد والقطاعات الاجتماعية والثقافية، وأهم أساليب التقريب وزيادة التفاعل الفكري بين الشباب المسلم.
- ١٢- أهم الظروف والأبعاد التي تزيد من فاعلية اشتراك الشباب المسلم في الدعوة للإسلام.
- ١٣- أهم العناصر التي تساعد على تقبل - أو عدم تقبل الفكر الإسلامي لدى غير المسلمين لتقدير الأساليب الملائمة لمخاطبتهم.
- ١٤- دراسة الوضع النفسي والاجتماعي للمرأة المسلمة - في الأسرة وفي المجتمع - وأساليب النهوض بالإناث (مع البنين) في ظل ثقافة إسلامية.
- ١٥- الثقافة الإسلامية: تقويم أساليب تقديمها للأطفال والشباب ، والمضمون الذي يقدم، ومدى استجابة الشباب له وتفاعله معه، وإجراء التجارب لتحقيق مزيداً من الوعي الإسلامي والفعالية بالقضايا الإسلامية.
- ١٦- اجراء تقويم لجرعات الثقافة الإسلامية التي تقدم لأبناء المسلمين في مختلف البلاد. وتحديد المستوى والمضمون الذي يمثل الحد الأدنى من الثقافة الإسلامية التي ينبغي تقديمها لأبناء المسلمين، وتقويم أساليب عرض وتقديم عناصر هذه الثقافة.
- ١٧- إجراء دراسات عن كيفية الجمع بين جاذبية العرض، ودقة المضمون، للمعلومات الإسلامية التي تقدم لأبناء المسلمين من خلال وسائل التعليم والإعلام، من أجل زيادة اقبالهم على التعلم، واعتزازهم بالثقافة الإسلامية.
- ١٨- التخطيط لإعداد أجيال متتابعة من الأدباء والفنانين والفنانيين المسلمين، الذين يحسنون تقديم فكرهم الإسلامي في قالب جذاب.
- ١٩- العناية بأساليب جذب النشئ لاتقان تعليم اللغة العربية (باعتبارها لغة القرآن الكريم) تقويماً، ومحسناً، ونشراً، لمختلف مراحل العمر.

- ٢٠- دراسة مستويات الدافعية للنهوض بالأمة الإسلامية، لدى الشباب المسلم تقوياً، وتحسيناً.
- ٢١- دراسة أبعاد التلاقي والتنافر بين كل من : أصول العقيدة الإسلامية من ناحية، وما هو سائد في فكر الناس وسلوكهم على أنه إسلامي (في مختلف البلاد الإسلامية)، من أجل تضييق الهوة ، والإسهام في نطاق أفكار المسلمين وسلوكهم في أصول عقيدتهم السحاء.
- ٢٢- دراسة درجة التنبيه لأبعاد التلاقي والتنافر بين تعاليم الإسلام، وبين النظم والتشريعات الاجتماعية والاقتصادية والحياتية الشائعة في المجتمعات الإسلامية (وغير الإسلامية) على وعي المسلمين من مختلف الفئات للتوجهات الإسلامية لمختلف أوجه الحياة وما يقدمه الإسلام من حلول للمجتمع الحديث (الإسلامي أولاً ثم غير الإسلامي).
- ٢٣- دراسة أهم أساليب التي يتبعها أعداء الإسلام في تشويه معالم الإسلام:
(أ) بين أبنائه (بطرق مباشرة أو غير مباشرة).
(ب) بين الناس كافة .
وأكفا الطرق لمواجهة كل أسلوب من هذه الأساليب.
- ٢٤- درجة التنبيه لمشكلات العلاقة بين العقيدة الإسلامية وبعض جوانب الثقافة المخالفة للإسلام والتي تقدم لأبناء المسلمين والأساليب المقترحة لمواجهة هذه المشكلات بطريقة فعالة.
- ٢٥- ابتكار أساليب تربوية للتقريب بين المسلمين من مختلف أنحاء العالم من خلال وسائل الإعلام والتعليم.
- ٢٦- تشجيع أساليب أحياء التراث الإسلامي في الحياة اليومية المعاصرة، سواء بإعادة نشره بصياغات الأفراد ومن مختلف مستويات الثقافة أو العمر، أو بالتشجيع على صياغته بطريقة قصصية أو درامية تسهل الاستعانة به في إعداد مواد إعلامية جيدة، خالية من التشويه.
- ٢٧- إجراء دراسات ومشاهدات وتجارب تساعد على إشراك أكبر عدد من المسلمين في الدعوة للإسلام.
- ٢٨- دراسة الظروف المسيرة والمعوقة التي تواجه الدعوة ، داخل البلاد الإسلامية ، وخارجها.

٢٩- إجراء دراسات وتجارب عن أكفا أساليب الدعوة للإسلام في مختلف البلاد، وبين مختلف المستويات الثقافية الاجتماعية والعمرية في كل بلد، من أجل تنمية مهارات الدعاة للإسلام.

٣٠- إجراء دراسات حول الشعور الديني والصحة النفسية، ووضعها موضع التطبيق في مختلف الفئات العمرية والتعليمية.

٣١- دراسات حول أثر الدافع الديني في حفز الروح القتالية (وخاصة لدى المناضلين في فلسطين وإريتريا وأفغانستان والبوسنة والهرسك ولدى عامة المسلمين دفاعاً عن دينهم).

٣٢- دراسات عن أثر الدافع الديني في مواجهة مشكلة التدخين والمخدرات لدى الشباب المسلم.

٣٣- وضع خطط للتربية والتعليم لتنمية مواهب وقدرات الأبناء المسلمين في الأسرة والمدرسة دون إغفال الجانب الروحي.

ويعتد . . أرجو أن يكون في هذا التصور بعض ملامح تساعد على التاصيل الإسلامي لعلم النفس.

المراجع REFERENCES

- ١- ابن جماعة الكناني، أبي اسحاق ابراهيم ، تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٢- ابن الجوزي، أبو الفرج، ذم الهوس، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٥م.
- ٣- ابن سينا، أبو علي، الاشارات والتنبيهات، ج٢، القاهرة، دارالمعارف، ١٩٦٨م.
- ٤- ابن سينا، أبو علي، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، احوال النفس، الحلبي، ١٩٧٢م.
- ٥- ابن سينا، أبو علي، القانون، في الطب، وخاصة في الكلام عن القوى.
- ٦- ابن مسكويه، اللذات والآلام، مصور بجامعة القاهرة.
- ٧- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي، تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق، بيروت، مكتبة الحياة، ١٣٩٨هـ.
- ٨- أبو حطب، فؤاد، نحو وجهة اسلامية لعلم النفس، ندوة: نحو علم النفس إسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ٩- أحمد محمد خلف الله، بحوث الذكاء في كتب العرب، مجلة الثقافة.
- ١٠- الأهواني، أحمد فؤاد، التوبة في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- ١١- ابن الهيثم، أبو الحسن، تحقيق د. عبد الحميد صبره، كتاب المناظر، الكويت، ١٩٨٣م.
- ١٢- البدري، مالك، علم النفس الحديث من منظور إسلامي، المؤتمر العالمي للتربية الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ١٣- بن نبي، مالك (ترجمة عبد الصبور شاهين)، شروط النهضة ومشكلات الحضارة، القاهرة، دار الفكر، ١٩٦٨م.
- ١٤- البيهقي، ابراهيم بن محمد، المحاسن والمساوئ، بيروت، دار صادر، ١٩٧٠م.
- ١٥- بن حيان، جابر، البحث، مخطوط بدار الكتب المصرية.
- ١٦- التويجري، أحمد بن عثمان، نحو تأصيل إسلامي للمعايير النفسية والاجتماعية،

- وضوابط الخدمات النفسية، ندوة المعايير النفسية والاجتماعية والضوابط للخدمات النفسية، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الملك سعود بالرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ١٧- شيخ، ادريس جعفر، التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية، مجلة المسلم المعاصر، عدد ١٢، ١٩٧٧م.
- ١٨- حفني، فدي، دراسة في الشخصية الاسرائيلية « الأشكنازيم»، القاهرة، جامعة عين شمس، مركز بحوث الشرق الأوسط، ١٩٧٥م.
- ١٩- حموده، عبد الوهاب، القوآن وعلم النفس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٤م.
- ٢٠- دراز، محمد عبد الله (ترجمة، شاهين، عبد الصبور)، دستور الاخلاق في القوآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٣م.
- ٢١- طه، الزبير بشير، والحسن، أحمد محمد، اصول المفاهيم النفسية في التراث الإسلامي، اللقاء الرابع حول قضايا المنهجية في العلوم السلوكية، الخرطوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وقسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ١٤٠٧هـ.
- ٢٢- الزنوجي، الإمام برهان الإسلام، تعليم المتعلم طريق التعلم، النهضة المصرية، ١٩٨٧م.
- ٢٣- سعيد، جودت، حتى يغيروا ما بانفسهم، دمشق، ١٩٧٥م.
- ٢٤- سويرف، مصطفى، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م.
- ٢٥- السيد، عبد الحليم محمود، نحو دستور اخلاقي لعلماء النفس المسلمين، ندوة نحو علم نفس إسلامي، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ٢٦- السيد، عبد الحليم محمود، مقدمة لـ « دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية للتراث : عرض وتكشف»، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢م.
- ٢٧- السيد، عبد الحليم محمود، وآخرون، علم النفس العام، القاهرة، دار غريب، ١٩٩١م.

- ٢٨- السيد، عبد الحلیم محمود وآخرون، في علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار
آمون، ١٩٨٩م.
- ٢٩- السيد، عبد الحلیم محمود، الأسس المعرفية للإصلاح التربوي لهناج
التفكير لدى الأجيال الجديدة في العالم العربي والإسلامي (دراسة غير
منشورة).
- ٣٠- الشرقاوي، حسن محمد، نحو علم نفس إسلامي، الاسكندرية، النهضة
المصرية العربية للكتاب، ١٩٧٦م.
- ٣١- الطويل، توفيق، حول قضية العلمية في علم النفس، محاضرة بالجمعية
المصرية لعلم النفس، ١٩٨٣م.
- ٣٢- عبد القادر، حامد، العلاج النفساني عند المسلمين، الحلبي، ١٩٤٧م.
- ٣٣- العثمان، عبد الكريم، الدراسات النفسية عند المسلمين، القاهرة، وهب،
١٩٦٩م.
- ٣٤- عثمان، سيد عثمان، التعلم عند الزنوجي، القاهرة، الأنجلو المصرية،
١٩٨٩م.
- ٣٥- عني، سيد، سيكولوجية الشخصية، القاهرة، النهضة العربية، ١٩٧٥م.
- ٣٦- الغزالي، أبو حامد، أحياء علوم الدين، القاهرة، الحلبي وشركاه، ١٩٦٧م.
- ٣٧- الغزالي، أبو حامد، تحقيق سليمان دنيا، ميزان العمل، القاهرة، دار المعارف،
١٩٦٠م.
- ٣٨- الغزالي، أبو حامد، العلم والعمل، مخطوط مصر بجامعة القاهرة.
- ٣٩- الفاروقي، اسماعيل، نحن والغرب، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١١،
١٩٧٧م.
- ٤٠- القرطبي، عبد الرحمن محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة،
الشعب.
- ٤١- قطب، سيد، حقائق التصور الإسلامي ومقوماته، بيروت، الشروق.
- ٤٢- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ٣، ج ٤، ج ٥، بيروت، الشروق، ١٩٧٧م.
- ٤٣- قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، بيروت، دار الشروق،
١٩٧٤م.
- ٤٤- المحاسبي، المسائل في الزهد، مصر بجامعة القاهرة.

- ٤٥- المحاسبي، ماهية العقل وفهمه: لقرآن، بيروت، دار الفكر، ١٩٧١م.
- ٤٦- المحاسبي، أبو عيد الله الحارق، الرعاية لحقوق الله، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
- ٤٧- محمود، مصطفى، كلهم يعبدون العجل، اخبار اليوم، ٣١ يوليو، ١٩٧٦م.
- ٤٨- محمود، مصطفى، الخروج من مستنقع فرويد، الاهرام، ٣ أغسطس، ١٩٨٨م.
- ٤٩- نجاتي، محمد عثمان، الإدراك الحسي عند ابن سينا، بيروت، الشروق، ط٢، ١٩٨٠م.
- ٥٠- نجاتي، محمد عثمان، الحديث النبوي وعلم النفس، بيروت، الشروق، ١٩٨٩م.
- ٥١- نجاتي، محمد عثمان، منهج التاصيل الإسلامي، ندوة نحو علم نفس إسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ٥٢- نجاتي، محمد عثمان، مقدمة ل دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية والتراث (عرض وتكشيف)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٥٣- هول ولينزي، (ترجمة فرج أحمد وآخرون)، نظريات الشخصية ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٦٩م.
- ٥٤- هويدي، فهمي، إشكالية الآخر في التفكير الإسلامي: الاختلاف الذي لا يد منه، مجلة العربي، العدد (٣٤٩)، ديسمبر، ١٩٨٧م.

- 55- Al Farouki, I, (Slamizing the Social Sciences Ist Warl dconfernce on Islamic Education, Macca, 1977.
- 56- Conont, J.R., on Understanding Science. Hew Haven, Ynle University Press, 1972.
- 57- Hanson, N.R., Pattern of Discovery. London, Cambridne Univ. Press, 1958.
- 58- Hare, P. A., Handbook of Small Group research, (2nd ed.) N.Y., Frce Press, 1972.
- 59- Hilgard, E. R., Theories of Learning, N.Y., Mc grw-Hill, 1974.

- 60- Inesko, Theories of Attitude Change. New York, Appleton-Century Crofts, 1967.
- 61- Journal of Conflict Resolution, (1960-1989).
- 62- Kahn, T. S., The structure of scientific Revolution; Chicago, Chicago Press, (2nd ed.). 1970.
- 63- Lindzey, G. & Aranson, E., Handbook of Social Psychology. (3rd ed.), N. Y., Bantam House, 1985.
- 64- Lindzey, T. S., & Powell, C., Handbook of Clinical Adult Psychology. Brookfield, Gower, 1987.
- 65- McGuigan, Experimental Psychology: Methods of research, (4th ed.), 1987.
Printice Hall, New Jersey, 1983 (4th ed.)
- 66- Mussen, P. H., Handbook of Child Psychology, N. Y., Wiley, 1983.
- 67- Osfsky, J. D., Handbook of Infant Development, N. Y., John Wiley, 1979.
- 68- Pepper, S., World Hypothesis, Berkeley, California University Press, 1942.
- 69- Popper, K. X., The Logic of Scientific Discovery, London, Hutchinson, 1959.
- 70- Popper, K. X., Conjunction and Refutation, The growth of scientific knowledge. London, Routledge & Kegan Paul, 1972.
- 71- Watt, W. Montgomery, Mohamed Prophet and Statesman. London, Oxford University Press, 1974.